مرثية الآلهة

[مقطع من قصيدة « رؤيا فوكاي »]

بلينا وماتبلى النجوم الطوالع[1] ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع
ويبقى (كُرُبّ)[2] الجالب الكربَ : كالصّدى
يغصّ المنادي بالرّدى ، وهو راجع !
كأن الأميبي[3] توأمٌ وهو توأمٌ لها، فهو في منجىً من الموت قابع
ولكنه الفرد الذي يزحف الورى إلى حيث ترمي مقلتيه المطامع
أعنقاءُ من صحراء نجدٍ تقحّمتْ بها مغرب الشمس البعيد الزعازع
أم انسلّ من أهرام فرعونَ هاجعٌ
وَقتهُ انتقاصَ الدّودِ منه ، المباضع ؟
ومن ليس يحيا لن يُرى وهو هالكٌ
فلو كان يحيا ما عدَتْه الفواجع
وما كان إلاّ اسماً (كُرُبّ) ابنَ مثلهِ
به يُدمَغُ اثنان : الورى والبضائعُ
ولكنّه اسمٌ بالاساميّ يغتذي تهجّاه زفّارُ اللظى والمدافع
تمنّيتُ أني آلة : لا يصيبها كلالٌ ، ولا وَقتٌ بها مرضائع
لها من دماء الناس قوتٌ ، وخلفها من المال عن أن ينفد القوت مانع
وما تخطىءُ الآلاتُ في الجمع تارةً
وفي الطرح ، إن يخطىءْ من الناس جامعُ
ولا عاقبتها عصبةٌ من ورائها علينا عقابٌ بُرئوا منه ، واقع !
ألا كم رفعنا من إلهٍ ، وكم هوى إلهٌ ، وأضحى ثالث وهو رابع !
فما جاوزتنا صورةٌ منه ، خطّها على غفلةٍ منا بجيعٌ وجائعُ
وما كان معبوداً سوى ما نخافه ونرجوهُ أو ما خيّلته الطبائعُ
فتموزُ[4] مثل اللاتِ ، والرّعدُ ما رمى
بغير الذي تُطوى عليه الأضالعُ
وكم أكلةَ التّمرَ التهاميّ معشرٌ[5]
لما ليس يحيا دونه الناسُ راكع
فلمّا شكا بُعدَ الأثافيّ قِدرُها
وضنّت على الشّدقِ الحفيّ المراضعُ
كفى كلّ ثغرٍ كان يدعوه، جوعه الهٌ أحاطته المدى والأصابع
دمي هذه الخمرُ التي تشربونها ولحمي هو الخبزُ الذي نال جائع
ولمّا تشظى قلب (نرسيس)[1] وانثنى
يلمُ الشظايا منه شارٍ وبائع
وغذّى بها القلبَ الذي حين ذاقها نمافيه نابا كوسج فهو قاطعُ
هوى كل عالٍ من إلهٍ وسافلٍ إلى حيث ما من راحل ثمّ راجع
وأفضى إلى العرش السديميّ معدنٌ
بما امتاحَ من أحداق (ميدوز)[2] لامعُ
هو الشمسُ إلا أنّ في زمهريره من الموت ظلاً حجبته البراقعُ
جزى أمهُ الأرض التي من عروقها
ربا ، واغتذى في جوفها وهو هاجع
بشرّ الذي يُجزى به شر من غذا وأروى، ويجزاه العدو المنازع
فأدمى بنيها، وارتعى من بناتها حقولاً ترجى، فهي شوهٌ بلاقع
كقابيل يغتال الأشقاء ، راكلٌ
— كأوديب — للخبز الالهيّ صافعُ !
وهذا الاله الأملس الفظ، ماجلا لنرسيس بحثو عنده وهو خاشع
سوى وجه نرسيس الرخاميّ ، شابهُ
شحوبٌ (يهوذيُ) التلاوين ناقعُ[3]
وأوفى من الأرباب جيلٌ يشمهُ على قمة (الأولمب) ربّ مخادع
ترى (فحمَ) إذ يلقاه يلقاه راجفاً و (فولاذ) من تلماح عينيه مائعُ[4]
وياعهد كنا كابن حلاّج : واحداً مع الله ان ضاع الورى فهو ضائعُ[5]
أكلّ الرجالَ الجوف أن يملأوا به
خواء الحشا هذا الاله المضارعُ
فعاد الفقير الرّوح من ليس كاسياً
به ظاهراً ، منّا ، ... فحلّ التنازع !

بغداد

بدر شاكر السياب

---

١ لا أحبذ وضع الأبيات المضمنة بين أقواس ، وانما تكفي الاشارة اليها . ٢ كرب Krupp صاحب معامل الأسلحة الألمانية الشهيرة . ٣ الأميبى : حيوان ذو حجيرة واحدة، وهو خالد لايموت لانعدام شخصيته . ٤ تموز ، أو أدونيس : الاله الخصب .

٥ إشارة الى قبيلة حنيفة التي كانت تصنع « رباً » من التمر تعبده ، ثم تأكله حين تجوع .. والبيت : « دمي هذه الخمر .. » من قول المسيح.

١ نرسيس ، أو نرجس : أحبّ نفسه حين رأى صورته في غدير ، ومات من هذا « الحب » !! ٢ ميدوز : هولة في أساطير الأغريق تحيل من تلتقى عينه بعينها إلى صخر. ٣ يهوذي : نسبة الى (يهوذا) بائع المسيح بالفضة، ويصوّر في الصور عادة بشعر ذهبي أصفر ، ولباس اصفر.

٤ جردت من الفحم والفولاذ شخصين آلهين من الأرباب الجدد ، أتباع زيوس الجديد، الذهب، وعاملتهما كاسمي علم، ومنعتهما من الصرف. ٥ ابن الحلاج ، المتصوف الاسلامي الذي قال : « ما في الجبة إلا الله » .